فما حاجتي ، اذن ، الى مسابقة الساعات ، وربما الدقائق والثواني ، حتى لحظة اليقظة الآتية لا محالة ؟

ما حاجتي الى القفز اذا كان القعود سيقودني الى النتيجة نفسها ؟

وهزتني قشعريرة من البردية كادت ان تلقيني من فوق الخازوق لولا قشعريرة خاطر لم استطع أن أكفه عني :

فكيف اذا كان موضعي هذا هو حقيقة وليس فيما يراه النائم من حلم او من كابوس ؟ أما القول بانه مخالف نواميس الطبيعة وأحكام المنطق فلا يكفيني برهانا على انه غير حقيقي . ألم تبحث عائلتي ، عائلة المتشائل ، عن السعادة طـــي القرون في عجائب خارجة عن نواميس الطبيعة وعن احكام المنطق ؟ واذا ظل اجدادي يدقون اعناقهم وهم يبحثون تحت ارجلهم عن الكنوز المطمورة فها أنا قد وجدت ضالتي ، وأنا أنظر فوق رأسي ، في اخوتي الفضائيين الذين أعادوا الى نفسي الطمأنينة . فكيف ينتظر مني ، من دون آبائي واجدادي ، وأنا فوق هذا الخازوق بالضبط ، أن أسلم أمري الى نواميس الطبيعة وأحكام المنطق ؟

ولقد بقيت على هذه الحال أترنح بين قشعريرة وقشعريرة ، بردية تقيمني ومحتد عريق يقعدني ، حتى التقيت يعاد مرة ثانية فشعرت بالدفء لاول مرة منذ الف عام !

[٢]

كيف أصبح علم الاستسلام ، فوق عصا مكنسة ، علم الثورة على الدولة ؟

التقيت يعاد فيما يكون فيه اللقاء في اسرائيل — في السجن . والاصح انني كنت خارجا منه . أما كيف دخلت السجن فذلك حين أفرطت في الولاء حتى أصبح، في عرفهم، تفريطا .

وذلك حين كنت استمع ، في ليلة من الليالي الست العفريتية ، الى الاذاعة العربية من محطة اسرائيل احتراسا ، فأتاني صوت المذيع وهو يدعو العرب المهزومين الى رفع أعلام بيضاء فوق أسطحة منازلهم فيوفرها العسكر المارقون مرق الســـــهام ، فينامون في بيوتهم آمنين . فاختلط علي أمر هذا الامر : أيهم يأمره المذيع — مهزوم هذه الحرب أم مهزوم رودس ؟ قلت : أنهزم أسلم عاقبة ! واقنعت نفسي بأنه اذا ظهر خطئي حملوه على حسن نيتي وبياض طويتي . فصنعت من بياض فراشي علما أبيض علقته على عصا المكنسة ونصبتهما على سطح بيتي ، في شارع الجبل في حيفا ، ولاء الافراط في الولاء للدولة .

ويا دلالة على من تدلّين ! فما ان أشرف على الناس هذا الشرشف حتى شرفني معلمي يعقوب بزيارة عاطل ، اي خلوا من السلام عليكم . فلم أرد التحية . وكان يصرخ : أنزله يا بغل !

فأنزلت رأسي حتى لامست قدميه وأنا اقول : هل عينوك ملكا على الضفة يا صاحب الجلالة ؟

فأخذ يعقوب بتلابيبي — أي ببجامتي — وراح يدفعني على الدرج نحو السطح وهو يشنشن : الشرشف ، الشرشف ! حتى بلغنا موضع المكنسة ، فانتزعها ، فحسبت انه